القايل هو انه لما وفق العباد للشكر بعد ان جعل وجوبه في عقولهم مقربا و بعد ان اقدرهم عليه صار كانه الفاعل له فاضافه
الى نفسه توسعا كما يقال اقام الامير الحد وقتل الوالي اللص وانما احمده سبحانه على البلاء كحمده على الآلاء فقد تقدم
القول فيه ومن الكلام المشهور سبحان من لا يحمد على المكروه سواه والسر انه تعالى انما يفعل المكروه بنا لمصالحنا فاذا
حمدناه عليه فانما حمدناه على نعمة انعم بها وان كانت في الظاهر بلية والما فان قلت فقد كان الاحسن في البيان ان
يقول احمده على بلائه كما احمده على آلائه قلت انما عكس لانه جاء باللفظين في معرض ذكر النعم والشكر عليها فاستهجن ان
يعقبها بلفظة الحمد على البلاء لمنافرة كانت تكون بينهما فقال احمده على هذه الآلاء التي اشرنا اليها كما احمده على البلاء
الذي هو آلاء في الحقيقة وهذا ترتيب صحيح منتظم ثم سال الله ان يعينه على النفس البطيئة عن المامور به السريعة
الى المنهي عنه ومن دعاء بعض الصالحين اللهم اني اشكو اليك عدوا بين جنبي قد غلب علي وفسر قوم من اهل
الطريقة والحقيقة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قالوا اراد مجاهدة
النفوس ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ابت الانفس الا حب المال والشرف وان حبهما لاذهب بدين احدكم من ذئبين
ضاريين باتا في زريبة غنم الى الصباح فماذا يبقيان منها ثم شرع في استغفار الله سبحانه من كل ذنب وعبر عن ذلك
بقوله مما احاط به علمه واحصاه كتابه لانه تعالى عالم بكل شيء ومحيط بكل شيء وقد اوضح ذلك بقوله علم غير قاصر وكتاب
غير مغادر اي غير مبق شيئا لا يحصيه قال تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ثم قال ونؤمن به
ايمان من عاين وشاهد لان ايمان العيان اخلص واوثق من ايمان الخبر فانه ليس الخبر كالعيان وهذا اشارة الى
ايمان العارفين الذين هو علي كرم الله وجهه سيدهم ورئيسهم ولذلك قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقوله
تصعدان القول اشارة الى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وروي تسعدان القول بالسين
اي هما شهادتان بالقلب يعضدان الشهادة باللسان ويسعدانها ثم ذكر انهما شهادتان لا يخف ميزان هما فيه ولا يثقل
ميزان رفعا عنه اما انه لا يثقل ميزان رفعا عنه فهذا الكلام فيه واما الثاني ففي القضية الاولى لان ظاهر هذا القول
يشعر بمذهب المرجئة الخلص وهم اصحاب مقاتل بن سليمان القائلون انه لا يضر مع الشهادتين معصية
اصلا وانه لا يدخل النار من في قلبه ذرة من الايمان ولهم على ذلك احتجاج قد ذكرناه في كتبنا الكلامية فنقول في
تاويل ذلك انه لم يحكم بهذا على مجرد الشهادتين وانما حكم بهذا على شهادتين مقيدتين قد وصفهما بانهما تصعدان
القول وترفعان العمل وتانك الشهادتان المقيدتان بذلك القيد انما هما الشهادتان اللتان تقارنهما فعل الواجب
وتجنب القبيح لانه ان لم يقارنهما ذلك لم يرفعا العمل واذا كان حكمه ع بعدم خفة ميزان هما فيه انما هو على شهادتين
مقيدتين لا مطلقتين فقد بطل قول من يجعل هذا الكلام حجة للمرجئة ثم اخذ في الوصاة بالتقوى وقال انها الزاد
في الدنيا الذي يتزود منه لسفر الآخرة وبها المعاذ مصدر من عذت بكذا اي لجأت اليه واعتصمت به ثم وصفها
اعني الزاد والمعاذ فقال زاد مبلغ اي يبلغك المقصد والغاية التي تسافر اليها ومعاذ منجح اي يصادف عنده النجاح قوله
دعا اليها اسمع داع يعني الباري سبحانه لانه اشد الاحياء اسماعا لما يدعوهم اليه وبناء افعل ههنا من الرباعي كما
جاء ما اعطاه للمال وما اولاه للمعروف وانت اكرم لي من زيد اي اشد اكراما وهذا المكان افقر من غيره اي اشد
افقارا وفي المثل افلس من ابن المذلق وروي دعا اليها احسن داع اي احسن داع دعاء لا بد من تقدير هذا المميز لانه
تعالى لا يوصف ذاته بالحسن وانما يوصف بالحسن افعاله ووعاها خير واع اي من وعاها عنه تعالى وعقلها واجاب تلك
الدعوة فهو خير واع وقيل عنى بقوله اسمع داع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنى بقوله خير واع نفسه لانه انزل فيه وتعيها اذن واعية
والاول اظهر ثم قال فاسمع داعيها اي لم يبق احدا من المكلفين الا وقد اسمعه تلك الدعوة وفاز واعيها افلح من فهمها
واجاب اليها لانه لا بد من تقدير هذا والا فاي فوز يحصل لمن فهم ولم يجب والتقوى خشية الله سبحانه ومراقبته في السر والعلن
والخشية اصل الطاعات واليها وقعت الاشارة بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قوله حتى اسهرت لياليهم واظمات هواجرهم من قول العرب نهاره صائم وليله

قائم نقلوا الفعل الى الظرف وهو من باب الاتساع الذي يجرون فيه الظرف مجرى المفعول به فيقولون هو الذي سرقته يوم الجمعة اي
سرق فيه وقال ويوم شهدناه سليما وعامرا اي شهدنا فيه سليما وقد اتسعوا فاضافوا الى الظرف فقالوا يا سارق الليلة اهل — توسّعوا
الدار وقال تعالى بل مكر الليل والنهار فاخرجهما بالاضافة عن الظرفية فان قلت لماذا كرر لفظة الاجل وفي تكرارها مخالفة لفن
البيان قلت انه استعملها في الموضعين بمعنيين مختلفين فقوله استقربوا الاجل يعني المدة وقوله فلاحظوا الاجل
يعني الموت نفسه ويروى مؤبرة وموترة بالتشديد ولا يوسى جراحه لا يطب ولا يصلح اسوت الجرح اي اصلحته ولا ينقع لا يروى
شرب حتى نقع اي شفا غليله وماء ناقع وهو كالناجع وما رايت شربة انقع منها والى قوله ع يجمع ما لا ياكل ويبني ما لا يسكن
نظر الشاعر فقال اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقال الخزرجي حوشبا انشئ بيتي بناء
نفسه لبني نفيلة يؤمل ان يعمر عمر نوح وامر الله يطرق كل ليلة قوله ومن غيرها انك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط
مرحوما اي يصير الفقير غنيا والغني فقيرا وقد فسره قوم فقالوا اراد انك ترى من هو في باطن الامر مرحوم مغبوطا وترى من
هو في باطن الامر مغبوط مرحوما اي تحسب ذلك وتخيله وهذا التاويل غير صحيح لان قوله بعده ليس ذلك الا نعيما زل و
بؤسا نزل يكذبه ويصدق التفسير الاول واضحى فيها من ضحى الرجل اذا برز للشمس ثم قال لا جاء يرد ولا ماض يرتد اي
ليس يرد ويسترجع اخذه ابو العتاهية فقال فلا انا راجع ما قد مضى لي ولا انا دافع ما سوف ياتي والى قوله ع ما اقرب الحي
من الميت للحاقه به وما ابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه نظر الشاعر فقال يا بعيدا عني وليس بعيدا من لحاقي به سميع
قريب صرت بين الورى غريبا كما انك تحت الثرى وحيد غريب فان قلت ما وجه تقسيمه ع الامور التي عددها الى الفناء
والعناء والغير والعبر قلت لقد اصاب الثغرة وطبق المفصل الا تراه ذكر في الفناء رمي الدهر الانسان عن قوس الردى و
في العناء جمع ما لا ياكل وبناء ما لا يسكن وفي الغير الفقر بعد الغنى والغنى بعد الفقر وفي العبر اقتطاع الاجل الامل فقد
ناط بكل لفظة ما يناسبها وقد نظر بعض الشعراء الى قوله ع ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من الخير الا ثوابه
فقال خير البضائع للانسان مكرمة تنمى وتزكو اذا بارت بضائعه فالخير خير وخير منه فاعله والشر شر وشر منه صانعه
الا ان امير المؤمنين ع استثنى العقاب والثواب والشاعر جعل مكانهما فاعل الخير والشر ثم ذكر ان كل شيء من امور الدنيا
المرغبة والمرهبة سماعه اعظم من عيانه والآخرة بالعكس وهذا حق اما القضية الاولى فظاهرة وقد قال القائل اهتز عند
تمني وصلها طربا ورب امنية احلى من الظفر ولهذا الحرص الواحد منا على الامر فاذا بلغه برد وفتر ولم يجده كما كان يظن
في اللذة ويوصف لنا البلد البعيد عنا بالخصب والامن والعدل وسماح اهله وحسن نسائه وظرف رجاله فاذا رحلنا
اليه لم نجده كما وصف بل ربما وجدنا القليل من ذلك ويوصف لنا الانسان الفاضل بالعلم بفنون من الآداب والحكم ويبالغ
الواصفون في ذلك فاذا اختبرناه وجدناه دون ما وصف وكذلك قد يخاف الانسان حبسا او ضربا او نحوهما فاذا وقع
فيهما هان ما كان يتخوفه ووجد الامر دون ذلك وكذلك القتل والموت فان ما يستعظمه الناس منهما دون امرهما
في الحقيقة وقد قال ابو الطيب وهو حكيم الشعراء كل ما لم يكن من الصعب في الانفس سهل اذا هو كانا وقال في المثل لحي الكوى
تامن واما احوال الآخرة فلا ريب ان الامر فيها بالضد من ذلك لان الذي يتصوره الناس من الجنة انها اشجار وانهار
وماكول ومشروب وجماع وامرها في الحقيقة اعظم من هذا واشرف لان ملاذها الروحانية المقارنة لهذه الملاذ المضاعفة
لها اعظم من هذه الملاذ بطبقات عظيمة وكذلك اكثر الناس يتوهمون ان عذاب النار يكون اياما وينقضي كما يذهب اليه
المرجئة او انه لا عذاب بالنار لمسلم اصلا كما هو قول الخلص من المرجئة وان اهل النار يالفون عذابها فلا يستضرون به
اذا طال الامد عليهم وامر العذاب اصعب مما يظنون خصوصا على مذاهبنا في الوعيد ولو لم يكن الا آلام النفوس باستشعارها
سخط الله تعالى عليها فان ذلك اعظم من ملاقاة جرم النار لبدن الحي وفي هذا الموضع ابحاث شريفة دقيقة ليس هذا الكتاب
موضوعا لها ثم امرهم بان يكتفوا من عيان الآخرة وغيبها بالسماع والخبر لانه لا سبيل ونحن في هذه الدار الى اكثر من ذلك والى — موضعًا
قوله ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا نظر ابو الطيب فقال الا انه اخرجه في مخرج اخر
بلاد ما اشتهيت رايت فيها فليس يفوتها الا الكرام كان نقص الاهل فيها وكان لاهلها منها التمام ثم قال فكم من منقوص